دراسةُ تحليلية في الاختلاف الصرفي و أثره الدلالي في وجوه القراءات العشر عند ابن الجزر

Taufik Amin Nur Wijaya
University of Delhi
anaminnur@gmail.com

Abstract/ الملخّص:

يهدفُ هذا البحث إلى دراسة الفروقِ الصرفيّةِ وأثرها الدلاليّ في وجوهِ القراءات العشر المتواترة، من خلال تحليل الاختلافات الواردة في بنيةِ الأسماءِ والأفعالِ في النصّ القرآني. وتكمنُ أهمّيةُ البحث في بيانِ العلاقةِ بين البِنيّة الصرفيّةِ والدلالةِ السياقيّة، وكيف يسهمُ التنوُّعُ القرائيّ وأثرها في المعنى وتُوسيعِ الدلالة.

اعتمدتِ الدارسةُ المنهجَينِ الوصفيَّ والتحليليَّ، حيث تمّ جمعُ الأمثلةِ القرآنيّةِ من كُتُبِ القراءات،ثمّ تصنيفُها وفقَ أنواعِ الاختلافاتِ الصرفيّة، وتحليلُها لمعرفةِ أثرها الدلاليّ في المعنى العامّ.

ظهرتِ النتائجُ أنّ اخالافَ القراءاتِ العشرِ لا يقتصرُ على النطقِ (اللهجة) أو الأداء، بل يتجاوزُ ذلك إلي اختلاف دلاليٍّ يعبَّرُ عن مُرونةِ النصّ القرآنيّ وغناهُ اللغويّ، كما يبرزُ كيفيّةَ انسجام البنيةِ الصرفيّةِ مع المقاصدِ البلاغيّة والإعجازيّةِ في الخطابِ القرآنيّ.

الكلمات المفتاحية: القراءات العشر، الصرف، الدلالة، لغة القرآني

A. INTRODUCTION/ المقدمة

دراسةٌ في اخْتلافِ القراءاتِ العشْرِ من حيثُ البِنْيةِ الصّرْفيِّةِ والدّلالةِ يُعدُّ من المَيَادينِ الجَليلةِ في علوم القرآنِ الكريمِ، إذْ يَجْمع بين مباحثِ اللِّسانِ العربيِّ القَديمِ، وعلمِ التفسير، وتاريخ نَقْلِ المصَاحفِ والقِراءات. ومن المعْلُومِ أنَّ اخْتلافَ القراءاتِ لا يَقْتصرُ على الجَانبِ الصّوتيِّ أو كيفيّةِ النّطْق بالحروفِ، بَل يَتعدَّى ذلك إلي الأبْعادِ الصّرفيّةِ والدّلاليّةِ الّتي تُؤَثّر تَأْثيرًا بالغًا في فهْم المعْنى وإدْراكِ مقاصدِ الآيات.

فهذه الدّراسةُ لا تَهْدفُ إلى إبْرازِ جمالِ التَّنوُّعِ في الأداءِ القرآنيِّ فَحسْبُ، بلْ تروم كذالك الكشْفَ عنْ سغةِ المعاني القرآنيَّةِ المنْبَثقةِ من اخْتلافِ البِنْيةِ الصّرفيّةِ الثابتة بالرِّوايةِ الصّحيْحة.

وقدْ عُنيَ العلماءُ منْذُ العُصورِ الأوْلَى بتمْييزِ وجوهِ القراءاةِ وضَبْطِ طُرُقِها، فكانَ الإمامُ ابنُ مجاهدٍ (ت. س: ٣٢٤ هـــ) أوّل من صنَّفَ في هذا البابِ تَصْنيفًا جامعًا، في كتابه "السّبْعَةِ في القراءاتِ"، حيْثُ ضبط به القراءات المشهورةَ وجعَلها معْيارًا للْقبول.

ثُمَّ جاء بعدَه الإمام ابن الجَزَريِّ (ت.س: ٨٣٣ هـــ) فزاد القراءات إلى العشر، ودوَّنَها في "النشْرِ في القراءات العشْرِ وطَيِّبَةِ النرِ". وبجهودِهما اسْتقَرّتْ أُسُسُ هذا العلْمِ وأُعطِي طابعةِ العلْميَّ المنْهجيّ.

ومع ذلك، فإنّ الجَانبَ اللّغَويَّ في دراسةِ الْقراءات، ولا سيّمَا ما يَتعلَّقُ بالصّرف والدَّلالة، لم يَنَلْ من الْعنَايةِ ما نَالَهُ جانبُ السَّنَدِ والتّاريْخِ. فقَدِ انْصَرَفَ كثيْرٌ من البَاحثينَ المُحْدَثينَ إلى التّثبّت من صحّةِ الرّواياتِ وسلامَةِ الأسَانيد، كما فعل الأعْظَميُّ (Al-Azami) (٢٠٠٣م)، دُونَ أنْ يَتوَسّعُوا في تَحليلِ الأبْعَادِ اللّغويّةِ والدّلاليّةِ.

والحَقيقةُ أنّ الاخْتلافَ الصّرْفيَّ بيْن القراءاتِ يُمثّلُ ميدَانًا واسعًا لفَهمِ الْفُرُوقِ الدّقيقَةِ في المَعاني، ممّا يُعينُ على التَّذَوُّقِ التّفسيريِّ والتّأَمُّلِ البَلاغيِّ. ذلك لأنّ الصِّيغَةَ في العَربيّةِ هي مفْتاحُ المَعنَى، وتَبَدّلَ الوزْنِ أو بنْيةِ الْفعلِ أو الجَمْعِ قدْ يُورِثُ فرْقًا لطيفًا في الدّلالةِ، لكنّهُ عميقٌ في الإشَارةِ اللّاهُوتيَّةِ والتّأويليّةِ.

فَمَثلاً، في قوله تعالى: "مٰلك يَوْمِ الدّين" و"مَلك يَوْمِ الدّين" (الْفَاتحَة: ٤)، نجد أنّ اخْتلافَ الصّيغة بين "مٰلك" و"مَلك" يُفْضي إلى تَنوّعٍ في معنى الامْتلاك والسُّلطان أوالهَيْمَنَة، إذ تدلُّ الأولى على المَلْكيَّة الخَاصَّة، وَالثَّانيَةُ عَلَى السُّلْطَة الْعَامَّة. وكلتَاهُما صحيحةٌ روايةً ونحوًا، ولكنّ الجمعَ بينهُما يُظْهر عُمْقَ المَفهُومِ الإلَهيّ في علاقته بالخَلق يومَ الجَزاء.

وقد أشارَ ابنُ جنّى في كتابه "الخَصائص" إلى أنّ تغيّرَ البنية في الكلمة العربيَّة ليس مجَرّدَ ظاهرة صَوتيَّة، بل هو قرينُ تحوُّلٍ في المعنى والوظيفة النّحويَّة، هذا ما يؤَكّدُ أهمّيَّةَ المُقاربة الدّلالة الصّرفيَّة في فهمِ القراءات.

أمّا في الدراسات اللّسانيّة الحديثة، فإنّ ما يُعرفُ بـــ"morfosemantik"-(بحث عن علاقة بين تغيير الصّيغة الكلمة والمعنى) يعدُّ إطارًا صالحًا لتفسير ارْتباط البنْية بالمَدْلُول، وهو ما يُمكنُ تطْبيقُهُ على القراءات لفهمِ كيف تؤَثّرُ الصّيَغُ المخْتلفةُ في تفسير المعنى النّصِّ.

وقد نَبّهَ غيرُ واحدٍ من علماءِ التراث إلى هذا المعنى، فقال الزّركشيُّ (ت ٧٩٤هـــ) في "البُرهان في علوم القرآن" إنّ لكلّ قراءةٍ وجهًا من وجوه الإعجاز لا يختصُّ به غيْرُها، ولا يُعدّ اختلافُ القراءات مجرّدَ اختلاف لهَجات. وكذلك قرّرَ السّيوطي (ت ٩١١هـــ) في "الإتقان في علومِ القرآن" أنّ تنوُّعَ القراءات الصّحيحة يُعدّ من مظاهر سعة البيان القرآني ومَروْنَته في التّعْبيْر.

ومع ذلك، فقد غَلبَ على الدّراسات الحديثة الاتّجَاهُ الّذي يفَصّلُ بين التّحْليل اللّغويّ وعلم القراءات. فذكر Neuwirth (٢٠١٩م) أنّ بَعضَ الباحثينَ الغَرْبيّينَ يَتَناولونَ الْقراءات بوصْفها اخْتلافات نَصّيَّةً، لا بوصْفها ظاهرةً لُغَويّةً حَيّةً ضمْنَ النّظام الْعربيّ الْقُرْآنيّ. كما أنّ كثيرًا من الباحثينَ المُسْلمينَ يُرَكّزون على الجَانب العَقَديّ دونَ إدْخال أدوَات التّحْليل اللّسَانيّ الحَديث، فظلّ الجَانبُ الدّلالة الصّرفيَّة في القراءات ميدَانًا قلَّ مَن تَناولَهُ تَناوُلاً علميًّا شَاملاً.

ومِن ثَمّ، تَبرُزُ الحاجةُ في الدّراسات المُعاصرة إلى مُقاربة تَكامُليّة تَجْمعُ بين مناهج علوم القرآن والتفسير منْ جهة، واللّسانيَّات العربيَة الحَديثة من جهة أُخرى، ليكونَ النّظَرُ في اخْتلاف الصّيَغ الصّرْفيّة ضمْنَ القراءات مَدْخَلاً إلى إدْراك أعْمَقَ لدلالات النّصّ القرآنيّ. وكما قرّرَ

فيرسْتيه (١٩٩٧م)، فإنّ النّظامَ الاشْتقاقيَّ في العربيّة القديمّة (classic) يُمنَحُهَا طاقةً دَلاليّةً فريدَةً، تتجلّى بوُضُوحٍ في تنوُّعِ وجوهِ القراءةِ الصّحيحَةِ.

وقد بين المفسّرونَ الكبارُ أهمّيّة اختلافِ القراءاتِ في توسيعِ دائرةِ الفهم، فالإمامُ الطَّبَريُّ (ت ٣١٠هـــ) في "جامعِ البيَانِ" يَعرضُ وجوهَ القراءةِ لُيبيِّن اخْلافَ المعاني لا لُيرجّحَ إحداها دونَ الأُخرَى، إشارةً إلى سعةِ النّصِّ. وكذالك الفخْرُ الرّازيّ (ت ٦٠٦ هـــ) في "مفاتيحِ الغيبِ" جعل اختلافَ القراءات باباً لفهمِ المعاني العقَديّةِ والفغهيّة على حدّ سواءٍ.

وبناءً على ذلك، فإنّ دراسة الاختلافات الصّرفية والدَّلاليّة في القراءات لا تقتصرُ على إثراءِ علمةِ اللّغة، بل تمْتدُّ إلى علوم التفسير والبلاغة وأصول الدّينِ. إذْ إنَّ فهْمَ أثرِ البِنْيةِ الصّرفيّةِ في الدّلالة يمنحُ الباحثَ أساساً علميّاً متينًا لتفسير النّصِّ القرآني تفسيراً موضوعيًا دقيقًا.

كما أنّ تطوُّر الدّراسات في هذا العصر يستدْعي استِعمالَ المناهجَ العلميَّة المْنضَبطة، ومن ذلك المنهجُ الوصفيُّ التحليليّ المعتمدُ على البحثِ المكتبيِّ (البحث في المصادر التراثيّة). ويُعنى هذا المنهجُ باستقْراءِ كُتُب الإمام ابن الجزري، مع مُراجعةِ كتب التراث، قصْدَ الوقُوفِ على العلاقةِ بين بنْيةِ الكلمةِ وسياقها الدّلاليّ في كلّ قراءة.

ومن خلال هذا المنظور، تسعى هذه الدِّراسةُ إلى الجمع بين المدرسة الترايّة (الّتي تعْنى بالسَّندِ والضّبْطِ والرِّواية) والمَدرسةِ اللّسانيّةِ الحَديثة(الّتي تعْنَى بالبنْيَةِ والمَعْنَى). فتكامُلُ هذيْنِ المنهجينِ يؤمَل أن يُبرزُ الصّورةَ الكاملةَ لمدى تأثير البنيةِ الصّرفيّةِ في القراءاتِ العشر على سعةِ المعنى القرآني وعمقه.

B. LITERATURE REVIEW/ مراجعة الأدبيات

لقد حَظِيتِ الدّراساتُ المتعلّقةُ بالقراءاتِ العشْرِ وتَأثيرِها في الفهمِ الدّلاليّ للقرآنِ الكريمِ باهْتمامِ كثيرٍ من الباحثينَ المنتمينَ إلى مجَالاتٍ علْميّةٍ مُتعدّدة. غَيرَ أنّ المَناهجَ والمَقاربات الّتي سَلكَها أُولئك الباحثونَ في كُلّ عَصرٍ قَد اختَلفَتْ في وجوهها وغَاياتها.

ففي العصرِ الحديثِ تحوّلَت الدِّراسةُ في القراءاتِ تحوُّلاً مَنْهجيًا مَلمُوسًا، بحَسَبِ تطوّرِ علُومِ اللّسانِ والفيلولوجيَا. فقد توَجّهَ بعضُ العلماءِ المسلمينَ المحْدَثينَ- مثلَ مُحَمَّد مُصْطَفَى الأَعْظَمِي

(٢٠٠٣م)، وعَبْد الدَّيَّان (٢٠١٤م)- إلى الدّفاعِ عن صِحّة القراءاتِ وَثُبوتِها أمامَ النّقْد الاستشراقِيّ، مُرَكّزينَ في أبحَاثِهم على جانبِ الإسْنادِ والتّوْثيقِ الخطِّيّ. وكانت الغايةُ الأساسيّةُ عندهم إثباتَ أنّ القراءاتِ تَقَلّدتْ طابعًا شفويًّا مضبوطًا منذُ عهد النّبيّ ﷺ إلى عصْرِ تدْوِينِ المصْحَف.

أمّا أبو شَمس (٢٠٢١م) فقدْ تناولَ هذا المضمارَ من مَنظورٍ دلاليٍّ حديثٍ في دراسته المَعْنُونَة "الأَبعَادُ الدّلاليّةُ في اخْتلافاتِ القراءاتِ القرآنيّة"، حيثُ جمَعَ بين النّظريّة الدّلاليّة البنْيَويَّة ومَعْطَيَات القراءات، فانْتهَى إلى أنّ التّغيُّرَ في البِنْيَةِ الصّرفيّةِ للقراءاتِ يُؤَدّي غالبًا إلى توسّعٍ في المعْنَى المَوْضوعيِّ للآياتِ الكريمة.

وتَتَميّزُ هذه الدّراسةُ عن سوابقِها بمَنهجِها التّرْكيبيِّ بتحليل علم الدّلالة الصّرفيَّة ، مَعَ التزَامِهَا بأُصولِ الإسنَادِ الصّحيحِ والقراءاتِ الثّابتَة. وعلى هذا، فإنّ أَهدافَ هذهِ الدّراسةِ تتلخّصُ فيما يلي:

١. وضعُ إطارٍ تحليليٍّ للعلاقاتِ الدّلالة الصّرفيَّة (morfosemantik) في القراءاتِ العشرِ، اعتمادًا على المصادرِ الأَصيلَةِ كـــ"طَيِّبَةِ النَّشْرِ" و"النَّشْرِ فِي القِرَاءَاتِ العَشْرِ" لابنِ الجزَرِيّ.

٢. بيان كيفَ أنّ اختلافَ الأبنيةِ الصّرفيّةِ في القراءاتِ يُؤدّي إلى تبدّلٍ أو تغيّر في الدّلالاتِ المَعنويّةِ، وما يَنجُمُ عنهُ من آثارٍ في التّفسيرِ.

في هذا المبحث، حصر الباحثُ نطاقَ دراسته في اختلافاتِ القراءاتِ الواردةِ في صيغِ الأسماءِ، وذلك لاتّساعِ ميدانِ البحثِ وكثرةِ الفروقِ الصرفيّةِ الواقعةِ في بابِ القراءات. ويرجو الباحثُ أن يُتابعَ مَن بعدَهُ من الباحثينَ استكمالَ هذا الموضوعِ في الدراساتِ اللاحقة.

C. RESEARCH METHODOLOGY/ منهجية البحث

اعلم أنّ هذا البحثَ قد جرى على المَنهجِ الوَصفيّ التّحليليّ، مُعتمدًا على المَنهجِ الكَيفيّ، ومُنتَميًا إلى نَمَطِ البحثِ المَكتبيّ (الدّراسات الوَثائقيّة)، إذ لم يُقصدْ به اختبارُ الفُروضِ بالأدواتِ

الإحصائيّة، بل الغرَضُ الأَصيلُ منهُ هو استِكْشافُ الظّواهرِ اللّغويّةِ والدّلاليّةِ في نصوصِ الْقرآنِ الكريمِ كما وردَتْ في وجوهِ القراءةِ العشرِ المشهورةِ.

وقد اقتَصرَ الباحثُ في جمْعِ مادّتِه على المصادرِ الأُوليّةِ كـــ "النّشرِ في القراءاتِ العَشْرِ وطَيِّبةُ النّشرِ لابنِ الجَزَريّ، السّبعةِ في القراءاتِ لابنِ مُجَاهِدٍ" و على المصادر الثّانويّةِ، من تراثِ الْقَديمِ ومن الدّراساتِ الحديثة.

ولمّا كان هذا البحثُ مَكتَبيّا لا ميدانيّا، فإنّ مُجْتمعَ البحثِ يَشملُ جميعَ نصوصِ القرآنِ كما رُويتْ بطرقِ القراءاتِ العشرِ المدَوّنَةِ عن أئمّتِها، و هم: ١) نافعُ المَدَنيُّ (ورش وقالون)، ٢) ابنُ كثيرٍ المَكّيُّ (البَزّيّ وقُنْبل)، ٣) أبو عَمْرو البَصريّ (الدُّوريّ والسُّوسيُّ)، ٤) ابن عامرٍ الشّاميّ (هشامٌ وابنُ ذَكْوانَ)، ٥) عاصمُ الكوفيّ (حَفصٌ وشُعبةُ)، ٦) حمزةُ الزّيّاتُ (خَلّادٌ وخَلَف)، ٧) الكسائيّ (أبو الحارثِ والدّوريّ)، ٨) أبو جعفرٍ المدنيّ (ابن وردانَ وابن جمّازٍ)، ٩) يعقوبُ الحَضرَميّ (رُوَيس ورَوْح)، ١٠) وخَلَف العاشرُ (إسحاقُ وإدريسُ).

وقد اختيرتْ عَيِّنةُ البحثِ على سبيلِ القصدِ (اختيارٍ مقصودٍ) بحسَبِ ضوابطَ مُعيّنة، منها:

١) أن تكونَ القراءةُ مُشتملةً على اخْتلافٍ صرفيّ ظاهرٍ، كَاخْتلافِ صِيغِ الأفعالِ أو الأسماءِ أو طرائقِ الاشتقاقِ.

٢) أن يَترَتّبَ على ذلك الاخْتلافِ تَغيُّر في الدّلالةِ والمَعْنَى.

٣) أن تكونَ تلك القراءةُ مذْكورةً في كُتُبِ التّفسيرِ المُعْتمدةِ مَوْردًا للاخْتلافِ أو التّنْويعِ في المَعنى. ومثال الآياتِ الّتي اُتُّخذتْ أُنْموذَجًا للتّحليلِ:

- قوله تعالى في الفاتحة (٤) : مٰلِكِ – مَلِك
- قوله تعالى في الفاتحة (٦) : أرجلَكم – أرجُلِكُم

ويُنظرُ في كلّ مثالٍ إلى التّبدّلِ الصّرفيِّ وأثرِه في الهَيئةِ الدّلاليّةِ للآيةِ الكريمة. ولمّا كان البحثُ غير مُتَعلّقٍ بأشخاصٍ أو مَيدانٍ تَجريبيّ، فإنّ ضوابطهُ الأخلاقيّةَ مُنْحصِرَةٌ في الالْتزامِ بالمَوْضوعيّةِ العلميّةِ، وصحّةِ المَصادرِ، وشَفافيّةِ التّفسيرِ والتّحليلِ.

وقد تمّ جمْعُ المَادّةِ العلميّةِ بطريق التّتبُّعِ والتّوثيقِ في المُصَنّفاتِ الأصيلةِ والمَراجعِ المُعْتبرةِ، وذلك عَبْرَ خطوات ثَلاث:

١) حَصْرُ المَصادرِ الأُوليّة: باسْتخراجِ الكُتُبِ الأَصيلةِ في علم القراءات، في"كتاب السّبعةِ" لابنِ مُجَاهد، و"النّشر في القراءاتِ العشر" و"طَيِّبَة النّشرِ" لابن الجَزريّ.

٢) تَصْنيفُ الظّواهرِ اللّغويَة: بتقسيمِ القراءاتِ الواردَةِ في تلك المَصادرِ على حسب أوجهِها الصّرْفيّة، من اخْتلاف الفعْلِ والاسم والاشتقاقِ وصِيغ الجَمْع، ثمَ تدْوينها في جَدَاولَ مُقارنة لتَيْسير التّحليل المُورْفُوسيمَانْتي (الدّلالة الصّرفيَّة).

٣) التّحَقّقُ من صحّةِ النّصوصِ: بمقارنةِ الرّواياتِ في كُتُب القراءاتِ والتّفاسيرِ والدّراساتِ الحديثةِ، واعْتمادِ ما توافرتْ له شرُوطُ الصّحّةِ من جهةِ التّواترِ والنّقلِ عن الأَئمّةِ، دون غَيْرِه.

وانْتهجَ الباحثُ في تحْليل مادّته ثلاث مراحلَ مُتَتابعة: ١) اخْتزالُ البياناتِ (التّقْليصُ): باستخْراجِ ما كان منها ذا صلة واضحة بالاخْتلاف الصّرْفيّ أو الدّلاليّ، وإهْمالِ ما لا أَثَرَ لَهُ في المَعنى من وجوهِ الأَداءِ الصّوتيّ المَحْضِ، كالإمالةِ والتّفْخيمِ والإشمام. ٢) التّصْنيفُ الصّرفيّ: بترْتيبِ القراءاتِ المُخْتارةِ على حسبِ تغيّرِ الأَوْزانِ أو الجُذورِ أو صيغ الأفعالِ، مع نسبةِ كلّ وجهٍ إلى إمامه ورَاويه، وتوثيقِ مصادره. ٣) التّحليل المُورْفُوسيمَانْتي (الصّرفيّ الدّلاليّ): وهو لبّ البحثِ وغايتُهُ، حيث يستقْرأُ أثر التّغيّرِ الصّرفيّ في تبدّل المَعْنى، ويسْتَنْبَطُ ما يترتّبُ عليه من فروقٍ دلاليّة.

وقدِ اسْتَنَدَ التّحليلُ إلى منْهجينِ مُتكاملين: أ) أحدُهما تُراثيّ، وهو نظريّةُ الاشْتقاقِ والتّصريفِ كما حرّرَها ابن جنّي في "الخَصائص" وسيبويْه في "الكِتَاب". ب) والآخَر حَديثٌ، وهو ما يُعرفُ في اللّسانيّات المُعاصِرَة بـــ"الْمُورْفُوسيمَانْتيكْس".

D. RESULTS AND DISCUSSION/ النتائج والمناقشة

إنّ اختلافَ القراءات في التراث القرآنيّ ليس مجرّدَ اختلافٍ صوتيٍّ أو فَوْنِتيٍّ، بل يتعدّاه إلى اختلافٍ في صيغ الأسماء والأفعال ممّا يؤثّر في البنية الصرفيّة والدلالة المعنويّة على السواء. وقد جاء هذا البحثُ ليدرسَ أنواعَ الفروقِ الصرفيّة في صيغ الأسماء (الاسم) والأفعال (الفعل) الواردة في القراءات العشر المشهورة (القراءات العشر)، مبيّنًا أثرَ التحوّلات الصرفيّة في انتقال الدلالة على المستويين المعجميّ (اللفظيّ) والسياقيّ (النصيّ).

وقد تبيّن للباحث أنّ اختلاف القراءات في صيغ الأسماء يتنوّع في سبعة مظاهر أساسيّةٍ لها أثرٌ بيّن في تغيّر المعنى، ومن ذلك ما يلي:

١. اختلاف العلامة الإعرابيّة (الإعراب والنحو)

يقع هذا النوع من الاختلاف عند تغيّر موقع الكلمة في الجملة، فينتج عنه اختلاف في كونها مرفوعةً أو منصوبةً أو مجرورةً، أو في حركاتها الصوتيّة التي تُحدِّد وظيفتَها النحويّة. ويؤدّي ذلك إلى تحوّل في الوظيفة التركيبيّة للكلمة وانتقال مركز الثقل في المعلومة. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في آية الوضوء من سورة المائدة (الآية ٦): يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اِذَا قُمْتُمْ اِلَى الصَّلٰوةِ فَاغْسِلُوْا وُجُوْهَكُمْ وَاَيْدِيَكُمْ اِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوْا بِرُءُوْسِكُمْ وَاَرْجُلَكُمْ اِلَى الْكَعْبَيْنِ ....إلخ

فقد وردت لفظة أَرْجُلَكُمْ على وجهين في القراءات، بعضهم يقر بـــ"وأرجلَكم" (قرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، والكسائيّ بالنصب)، وباقون يقر بـــ"وأرجلِكم" (وقرأ حمزةُ، وأبو عمرو، وابن كثير بالجرّ).

فأمّا قراءة النصب، فهي بالعطف على المفعول به (وجوهَكم وأيديَكم وأرجلَكم)، أي بمعنى "اغسلوا وجوهَكم وأيديَكم وأرجلَكم". وأمّا قراءة الجرّ، فهي بالعطف على محلّ الباء في (بِرُؤُوْسِكُم)، أي بمعنى "وامسحوا برؤوسكم وأرجلِكم".

وعلى ذلك، اختلف المعنى باختلاف الإعراب: فالأولى تدلّ على وجوب غسل الرجلين، والثانية تجوّز المسح عليهما، وهو اختلافٌ له أثرٌ في تقرير الحكم الفقهيّ لمسألة الوضوء.

٢. اختلاف العدد (الإفراد، التثنية، الجمع)

يَتعلّقُ هذا النّوعُ من الفروقِ بتبدّلِ الصّيغةِ من مفردٍ إلى مثنًّى أو جمعٍ، فيتّسعُ أو يضيقُ مَدلولُها الدِّلالِيّ، فينعَكِسُ ذلك على عمومِ المعنى أو خصوصِه. ولوضوح البحث لهذا الباب، قدم الباحث بهذا الهيكل:

نمرة	سورة	آية	مفرد	امام القراءة	جمع	امام القراءة
١	البقرة	٨١	خَطِيْئَتُهُ	ابن كثير، أبو عمرو، ابن عامر، عاصم، حمزة، الكسائي، يعقوب، خلف	خَطِيٰٓـُٔتُهُ	نافع، أبو جعفر
٢	المائدة	٦٧	رِسَالَتَهُ	ابن كثير، أبو عمرو، عاصم، حمزة، الكسائي، يعقوب، خلف	رِسَالٰتِه	نافع، ابن عامر، أبو جعفر
٣	الأنعام	٩٢	صلاتِهِم	نافع، ابن كثير، أبو عمرو، ابن عامر، عاصم، حمزة، الكسائي، أبو جعفر، يعقوب	صلواتِهم	خلف
٤	الأنعام	١١٥	كَلِمَتُ	عاصم، حمزة، الكسائي، أبو جعفر، يعقوب، خلف	كَلِمٰتُ	نافع، ابن كثير، أبو عمرو، ابن عامر
٥		١٣٥	مَكَانَتِكُمْ	نافع، ابن كثير، أبو عمرو، ابن عامر، حمزة، الكسائي، أبو جعفر، يعقوب، خلف	مَكَانٰتِكم	عاصم
٦	الأعراف	١٧٢	ذُرِّيَّتَهُمْ	ابن كثير، عاصم، حمزة، الكسائي، يعقوب، خلف	ذُرِّيّٰتِهم	نافع، أبو عمرو، ابن عامر، أبو جعفر
٧	التوبة	٢٤	وعشِيرَتُكُمْ	نافع، ابن كثير، أبو عمرو، ابن عامر، حمزة، الكسائي، أبو جعفر، يعقوب، خلف	وعشيراتكم	عاصم، شعبة

فمن ذلك قولُه تعالى في سورة البقرةِ (الآيَةِ ٨١):"بَلٰى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَّاَحَاطَتْ بِهٖ خَطِيْۤـَٔتُهٗ فَاُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ ۚ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ".

فى تلك الآية، لفظ "خطيئته" يمكن قراءاته بـــ"خَطِيئَاتُهُ" (قرأ نافِع، أبو جعفر) بلفْظ الجمعِ، وقرأ سائر الأئمّة العشَرة بـــ"خَطِيئَتُهُ"بلفظ الإفراد. لفظة الأول على وجهة الجمع المئنّس السالم، وأمّ لفظة الثاني مأخوذَةٌ من الجَذرِ "أَخْطَأَ – يُخْطِئُ – خَطَأً وَخَطِيئَةً"، وهي "ضدّ الصّوابِ".

ففي القراءة الأُولَى "خَطِيئَاتُهُ" دلالَةٌ على الذّنبِ العظيمِ المَانعِ من النّجاة، وفي القراءة الثّانية "خَطِيئَتُهُ" دلالَةٌ على تعدُّدِ الذّنوبِ وتكاثُرِها حتّى أحاطتْ بصاحبِها من كُلّ جانبٍ، فكانتْ سببَ هَلاكِه. فالفَرقُ بين الإفرادِ والجمعِ هنا ينتجُ تَحَوُّلاً في الدّلالَةِ من معنى الذّنبِ الواحدِ إلى معنى الكَثرَة والتّمَادي في المعْصيَةِ.

ومثالاً من اختلاف العدد بين التّثنيةِ والجَمْعِ هي ماوقع ذلك في قوله تعالى في سورة التّوبة (الآيَةِ ١٠٠) "وَالسّٰبِقُوْنَ الْاَوَّلُوْنَ مِنَ الْمُهٰجِرِيْنَ وَالْاَنْصَارِ وَالَّذِيْنَ اتَّبَعُوْهُمْ بِاِحْسَانٍ ۙ رَّضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوْا عَنْهُ وَاَعَدَّ لَهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِيْ تَحْتَهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَآ اَبَدًا ۭ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ". فقد وردت الكلمة في أكْثرِ القراءاتِ بصيغةِ الجمعِ "السَّابِقُونَ"، ولكن هناك ما رُوِيت قراءةٌ شَاذَّةٌ بالتّثنيةِ "ٱلسَّابِقَانِ" كما أشار إليه الفَرَّاءُ.

ودلالةُ الجَمعِ تُفيدُ العُمومَ، أي جميعَ المتقدّمينَ من الصّحابةِ والمهاجرينَ والأنصارِ، بينمَا دَلالةُ التّثنيَةِ تُخصّصُ اثنين بعينهما، وهذا كما روي عن بعضِ المفسّرينَ أنّهما أبو بكرٍ وعمر رضي اللّه عنهما. فبذلك يتَبَيَّنُ أنّ التّحَوُّلَ من الجمعِ إلى التَثنيَةِ يُحدِثُ انتقَالا في المرجعِ الدّلاليّ من الجماعةِ إلى الفردَينِ، ويستَلزِمُ تفسيرًا سِياقيًّا وتاريخيًّا للآيةِ.

٣. اختلاف الأوزان والصيغ الاشتقاقيّة

وهو اختلافٌ يقعُ بين الأوزانِ الدالّة على النِّسبة أو المبالغة، أو بين صيَغ الأسماءِ التي تدلّ على الآلة أو المكانِ أو الفاعل ونحوِها. ومن أمثلته اختلافُ الصّيَغ بين "فَعَّال" و"فَاعِل"، كما في قوله تعالى في سورة البقرة (الآية ٣٧) "فَتَلَقّٰٓى اٰدَمُ مِنْ رَّبِّهٖ كَلِمٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۭ اِنَّهٗ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ".

فقد وُرِدت لفظة "التَّوَّاب" على قراءتين، فقرئَتْ على وزن فَعَّال (تَوَّابٌ)، وهي صيغة مبالغة تدلّ على الكثرة والاستمرار، أي كثير القَبول للتوبة. و آخر قرئت على وزن فَاعِل (تَائِبٌ)، وهي صيغة اسم الفاعل الدالّ على من تاب مرّة أو على وجهٍ خاصّ.

ففي القراءة الأُولى دلالةٌ على صفةٍ من صفات الله تعالى الدائمةِ "مَن كثُر منه قَبول التوبة مرّة بعد أخرى"، وفي الثانية دلالة على أصل الفعل من غير دلالة على التكرار، أي "من تاب من الذنب". وعلى هذا فـــ"التَّوَّاب" هو مَن يُكرّر القَبول للتوبة، وأمّا "التَّائِب" فهو من تاب عن ذنبه.

ومن أمثلة اختلاف الأوزان أيضًا ما جاء في قوله تعالى في سورة الفاتحة (الآية ٤) "مٰلِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ". فقد قرأ عَاصِم، والكسائيّ، ويعقوب، وخلف بقراءة "مَالِك"، وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، وأبو جعفر بـــ"مَلِك" كـــ "مَلِكِ النَّاسِ". فالقراءة الأُولى (مَالِك) على وزن "فَاعِل"، وهي اسم فاعلٍ من المصدر مِلْك، أي من له الملك والاختصاص. وأمّا الثانية (مَلِك) فهي على وزن "فَعِل"، من المصدر "مُلْك"، أي صاحب السلطان والسيادة العامّة. فدلالة الأولى تقتضي معنى التملّك الفرديّ الخاصّ، ودلالة الثانية تقتضي معنى الحكم والسلطان العامّ. وهذا من دقائقِ التَّعْبير القرآنيّ الذي جمع بين معاني "الملك" و"المالك" في موضعٍ واحد بحَسَب القراءات.

٤. اختلاف بين المصدر واسم الفاعل

وموضِع هذا النوع من الخلافِ هو في تحديد الحدّ الفاصل بين المصدر واسم الفاعل، إذ قَدْ تتقارب الدلالتان من حيث الاشتقاق. فإنّ اسم الفاعل إنّما يُشتقّ من الفعل ليُفيد معنى الحدث وصاحبه معًا، بينما المصدر يدلّ على الحدث مجرّدًا من الفاعل.

ومن أمثلته قوله تعالى في سورة الأعراف (الآية ٢٠١) "اِنَّ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا اِذَا مَسَّهُمْ طٰٓئِفٌ مِّنَ الشَّيْطٰنِ تَذَكَّرُوْا فَاِذَا هُمْ مُّبْصِرُوْنَ". فقد قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائيّ، ويعقوب بقراءة "طَيْفٌ"، وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر، وخلف بقراءة "طَائِفٌ".

فالأولى (طَيْفٌ) مصدر على وزن "فَعْل" من الفعل طَافَ- يَطِيفُ- طَيْفًا، كما يُقال سَارَ- يَسِيرُ- سَيْرًا، والثانية (طَائِفٌ) اسم فاعل على وزن فَاعِل من الفعل طَافَ – يَطُوفُ – طَوْفًا. فمن قرأ "طَيْفٌ" أراد به معنى المصدر، أي الوسوسة الخفيّة التي تلمّ بالقلب أو الخيال من الشيطان. ومن قرأ "طَائِفٌ" أراد به معنى الفاعل، أي الشيطان ذاته الذي يطيف بالإنسان في منامه أو وهمه. فالفرق بين القراءتين انتقال المعنى من الحَدَث إلى مَن صدر عنه الحَدَث.

ومن ذلك أيضًا اختلاف القرّاء في لفظ سِحْر وسَاحِر في مواضع عدّة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى في سورة المائدة (الآية ١١٠) "اِذْ قَالَ اللّٰهُ يٰعِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِيْ عَلَيْكَ وَعَلٰى وَالِدَتِكَ ۘ اِذْ اَيَّدْتُّكَ بِرُوْحِ الْقُدُسِ ۗ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۚ وَاِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرٰىةَ وَالْاِنْجِيْلَ ۚ وَاِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّيْنِ كَهَيْـَٔةِ الطَّيْرِ بِاِذْنِيْ فَتَنْفُخُ فِيْهَا فَتَكُوْنُ طَيْرًا بِاِذْنِيْ وَتُبْرِئُ الْاَكْمَهَ وَالْاَبْرَصَ بِاِذْنِيْ ۚ وَاِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتٰى بِاِذْنِيْ ۚ وَاِذْ كَفَفْتُ بَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ عَنْكَ اِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنٰتِ فَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْهُمْ اِنْ هٰذَآ اِلَّا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ". قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب بلفظ "سِحْرٌ"، وقرأ حمزة، والكسائيّ، وخلف بلفظ "سَاحِرٌ".

ووقع أيضاً فى قوله تعالى في سورة يونس (الآية ٢) "اَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا اَنْ اَوْحَيْنَآ اِلٰى رَجُلٍ مِّنْهُمْ اَنْ اَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكٰفِرُوْنَ اِنَّ هٰذَا لَسٰحِرٌ مُّبِيْنٌ". قرأ أبو عمرو، وابن عامر، ونافع، وأبو جعفر، ويعقوب "لَسِحْرٌ". وقرأ ابن كثير، وعاصم، وحمزة، والكسائيّ، وخلف "لَسَاحِرٌ".

فكلمة "سَاحِرٌ" هي اسم فاعل من الفعل "سَحَرَ- يَسْحَرُ"، تدلّ على من يقوم بفعل السحر، وأمّا "سِحْرٌ" فهي مصدر من الفعل نفسه، تدلّ على نفس الفعل أو الحدث دون فاعله. فمن قرأ سَاحِرٌ جعل المعنى متعلّقًا بالفاعل، أي "الذي يقوم بالسحر"، ومن قرأ سِحْرٌ جعله متعلّقًا بالفعل نفسه، أي "السحر" بوصفه ظاهرة أو حدثًا. وهكذا يتّضح أنّ اختلاف الصيغة بين المصدر واسم الفاعل في القراءات يُنتج اختلافًا دلاليًّا دقيقًا بين الفعل ومن يقوم به.

موضع اخلاف القراءات لفظ "سحر" في القرآن:

نمرة	سورة	آية	المصدر	امام القراءة	اسم الفاعل	امام القراءة
١	المائدة	١١٠	سِحْرٌ	نافع، ابن كثير، أبو عمرو، ابن عامر، عاصم، أبو جعفر، يعقوب	ساحر	حمزة، الكسائي، خلف
٢	يونس	٢	لَسِحْر	أبو عمرو، ابن عامر، نافع، أبو جعفر، يعقوب	لَسَاحِرٌ	ابن كثير، عاصم، حمزة، الكسائي، خلف
٣	هود	٧	سِحْرٌ	نافع، ابن كثير، أبو عمرو، ابن عامر، عاصم، أبو جعفر، يعقوب	سَاحر	حمزة، الكسائي، خلف

٥. الاختلاف الصوتي ذو الدلالة (الإعلال والإبدال)

تغيُّرُ الحركاتِ أو الصوت الّذي يُؤدّي إلى تغييرِ أصلِ الفعل في بَعْضِ المواضعِ، قد يترَتَّبُ عليه تَغَيُّرُ المعنى فيفيدُ لفظًا جديدًا أو ينشِئُ كَلِمَةً أخرَى ذَاتَ مَعْنًى مُختلفٍ، وهذا ما نقصد بـــ" الإعلال والإبدال". الإعلال هو تغيّر حرف العلّة (الواو، والياء، والألف) عن أصله إلى حرفٍ آخر أو حذفه أو قلبه أو إسكانه، لتخفيف النطق أو التناسق الصوتي في الكلمة، مثله" قال، قَوْل، قِوَال، قيل". وأمّا الإبدال هو تغيّر حرفٍ صحيح إلى حرفٍ آخر من جنسٍ آخر بسبب علاقة صوتية بين الحرفين أو طلبًا للخِفّة في النطق، مثله "اذّكر- اذتكر (لتحسين النطق أو مجاورة الحروف)".

وهذا ما وقع في قول تعالى في سورة البقرة (٢٥٩) "اَوْ كَالَّذِيْ مَرَّ عَلٰى قَرْيَةٍ وَّهِيَ خَاوِيَةٌ عَلٰى عُرُوْشِهَا ۚ قَالَ اَنّٰى يُحْيٖ هٰذِهِ اللّٰهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ فَاَمَاتَهُ اللّٰهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهٗ ۗ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۗ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا اَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۗ قَالَ بَلْ لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ اِلٰى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۚ وَانْظُرْ اِلٰى حِمَارِكَ ۗ وَلِنَجْعَلَكَ اٰيَةً لِّلنَّاسِ وَانْظُرْ اِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوْهَا لَحْمًا ۗ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهٗ ۙ قَالَ اَعْلَمُ اَنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ".

قرأ الجمهور وهم حفص عن عاصم، ونافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب بقراءة " نُنْشِزُهَا " (بالزاي)، من نَشَزَ – يَنْشُزُ أي رفعَ وأقامَ. وقرأ حمزة وخلف بقراءة " نُنْشِرُهَا "(بالراء)، من نَشَرَ – يَنْشُرُ أي أحيا وأعادَ بعد الموت.

قال أبو حيان "النشز الارتفاع، والنشر الإحياء، وهما متقاربان في المعنى إلا أن الأول في التكوين الهيكلي، والثاني في الإحياء الروحي". وقال الزمخشري"في قراءة (ننشزها) إشارة إلى ترتيب الأعضاء على نظامها الطبيعي، وفي (ننشرها) بيان لما بعد التركيب من نفخ الروح فيها، فجمعت القراءتان بين أصل الخلق والإحياء بعد الموت.

فالقراءة بالزاي مأخوذة من الجذر "ن–ش–ز"، وهو من باب "فَعَلَ – يَفْعُلُ"، ومصدره "نَشْزٌ ونُشُوزٌ"، يدل على العلوّ والارتفاع. وأما القراءة بالراء فمن "ن–ش–ر"، ومصدره نَشْرٌ، يدل على الإحياء والبسط.

فمن قرأ بـــ"ز"، أراد معنى التركيب الماديّ للعظام بعضها فوق بعض. ومن قرأ بـــ"ر"، أراد معنى الإحياء بعد التركيب، فكأن القراءتين متكاملتان في الدلالة على مراتب الخلق والإحياء، ولا تعارض بينهما، بل هما في حكم "التغاير التفسيريّط لا "التضادّ الدلاليّ".

٦) الاختلاف بين صيغتي مُفْعَلَ ومَفْعَلَ

ورد هذا الوجه في مواضع متعددة من القرآن، منها قوله تعالى في سورة النساء (٣١) "اِنْ تَجْتَنِبُوْا كَبَآىِٕرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّاٰتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُّدْخَلًا كَرِيْمًا". قرأ نافع وعاصم وأبو جعفربقراءة "مَدْخَلا". وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف بقراءة "مُدْخَلا".

وهذا لفظ وقع كذلك في قوله تعالى في سورة الحجّ (٥٩) "لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُّدْخَلًا يَّرْضَوْنَهٗ ۗ وَاِنَّ اللّٰهَ لَعَلِيْمٌ حَلِيْمٌ"، فوقع الخلاف على النحو نفسه.

لفظ "مُدْخَلا" مأخوذ من الفعل المزيد بالهمزة "أَدْخَلَ – يُدْخِلُ"، على وزن "مُفْعَل"، وهو من صيغ اسم المكان أو الزمان، يدل على موضع الإدخال أو زمانه، ومادته متعدّية بالهمزة إلى

المفعول. أما "مَدْخَلا" فهو من الفعل الثلاثي المجرد "دَخَلَ- يَدْخُلُ"، على وزن مَفْعَل، وهو كذلك اسم مكان أو زمان لكنّه من الفعل اللازم.

فمن قرأ "مُدْخَلا"، فقد أراد معنى التعدية أي "المكان الذي يُدخِل الله فيه عباده"، فيكون الفعل منسوبًا إلى الله تعالى بصفته الفاعل. ومن قرأ "مَدْخَلا"، فقد أراد معنى اللزوم أي "المكان الذي يدخل فيه العبد بنفسه"، فيكون الفعل منسوبًا إلى العبد بصفة الاختيار والطاعة. فجاء اختلاف القراءتين توسيعًا في المعنى بين جانب القدرة الإلهية وجانب الامتثال الإنسانيّ، فكان كالتفسير البديع بين الفعلين: الإدخال والدخول.

ذكر ابن جني على أنّ كل زيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى، فكان في "مُدْخَلا" زيادة الهمزة التي أفادت التعدية. ومذهب أبو عبيدة على أنّ القراءتان حسنتان، لأن "مُدْخَلا" من فعل الله تعالى، و"مَدْخَلا" من فعل العبد في نفسه، فالمعنيان متلازمان.

فهذا الموضع الآخر وجوه الاختلاف القراءات من هذا الباب:

نمرة	سورة	آية	مُفْعَلَ	امام القراءة	مَفْعَلَ	امام القراءة
١	النساء	٣١	مُدْخَلًا	ابن كثير، أبو عمرو، ابن عامر، حمزة، الكسائي، يعقوب، خلف	مَدْخَلًا	نافع، عاصم، أبو جعفر، أبو بكر
٢	هود	٤١	مُجْرَىٰها ومُرْسَىٰهَا	أبو عمرو، ابن عامر، نافع، ابن كثير، عاصم، أبو جعفر، شعبة	مَجْرَىٰها ومُرْسَىٰهَا	حمزة، الكسائي، يعقوب، خلف
٣	مريم	٧٣	مُقَامًا	ابن كثير، أبو عمرو	مَقَامًا	نافع، ابن عامر، عاصم، حمزة، الكسائي، أبو جعفر، يعقوب، خلف
٤	الحج	٥٩	مُدْخَلًا	ابن كثير، أبو عمرو، ابن عامر، حمزة، الكسائي، يعقوب، خلف	مَدْخَلًا	نافع، عاصم، أبو جعفر، شعبة
٥	المؤمنون	٢٩	مُنْزَلًا	نافع، ابن كثير، أبو عمرو، ابن عامر، حمزة، الكسائي، أبو جعفر، يعقوب، خلف	مَنْزَلًا	عاصم، شعبة
٦	الأحزاب	١٣	لَا مُقَامَ	عاصم، خلف	لَا مَقَامَ	ابن كثير، نافع، أبو عمرو، ابن عامر، حمزة، الكسائي، أبو جعفر، خلف، يعقوب
٧	الدخان	٥١	مُقَامًا	نافع، ابن عامر، أبو جعفر	مَقَامًا	ابن كثير، أبو عمرو، عاصم، حمزة، الكسائي، يعقوب، خلف
٨		٢٥	ومُقام	نافع	وَمَقَامٍ	ابن كثير، أبو عمرو، ابن عامر، عاصم، حمزة، الكسائي، أبو جعفر، يعقوب، خلف

٧) اختلافُ القراءاتِ بين التَّخفيفِ وَالتَّثقيلِ (مُفْعِلٌ وَمُفَعِّلٌ، وَمُفْعَلٌ وَمُفَعَّلٌ)

في هذا المبحث يُرادُ بيانُ الفروقِ الواردةِ في بعضِ أوجهِ القراءاتِ العشرِ بين صيغِ مُفْعِلٍ ومُفَعِّلٍ، وكذلك بين مُفْعَلٍ ومُفَعَّلٍ. وقد جُمِعَ الكلامُ في هذين البابين معًا، إذ الأصلُ فيهما واحدٌ من جهة الاشتقاق، لأنَّ كلا الصيغتين من مُشْتَقَّاتِ الفعلِ الواحد.

ووجهُ الخلافِ بينهما إنّما هو من جهةِ التخفيفِ (التقليل في الحروف أو الحركات) في صيغة مُفْعِلٍ، والتثقيلِ (التضعيف) في صيغة مُفَعِّلٍ، وكذلك الحال في مُفْعَلٍ ومُفَعَّلٍ. وكلتاهما ترجعان في الأصل إلى وزني أَفْعَلَ وفَعَّلَ.

وأصلُ المسألةِ في هذا الباب هو الاختلافُ في الدلالةِ والمعنى تبعًا لاختلافِ الصيغة، إذ تتولّدُ من التغيّر في هيئةِ الكلمة معاني زائدة أو مغايرة، وذلك بسببِ ما يطرأ عليها من زيادةِ الألف أو التضعيفِ في بنيةِ الفعل. فلكلٍّ من الزيادتين أثرٌ في إفادةِ المعنى المناسب للسياق القرآنيّ ومقتضى المقام. وفيما يلي أنواعُ الفروقِ الواردةِ في صيغِ التَّخفيفِ وَالتَّثقيلِ المذكورة، وقد عَرَضَهَا الباحثُ في جدولٍ تَوضيحيٍّ:

نمرة	سورة	آية	مفعل	امام القراءة	مفعّل	امام القراءة
١	البقرة	١٨٢	مُوْصٍ	نافع، ابن كثير، أبو عمرو، ابن عامر، أبو جعفر	مُوَصِّ	حمزة، الكسائي، عاصم، يعقوب، خلف
٢	ال عمران	١٢٤	منزَلِيْنَ	نافع، ابن كثير، أبو عمرو، عاصم، حمزة، الكسائي، أبو جعفر، يعقوب، خلف	مُنَزَّلِيْنَ	ابن عامر
٣	المائدة	١١٥	مُنْزِلُها	ابن كثير، أبو عمرو، يعقوب، الكسائي، خلف	مُنَزِّلُها	نافع، ابن عامر، عاصم، حمزة، أبو جعفر
٤	الأنعام	١١٤	مُنْزَل	نافع، ابن كثير، أبو عمرو، عاصم، حمزة، الكسائي	منَزَّلٌ	ابن عامر، أبو جعفر، يعقوب، خلف
٥	الحجر	٥٩	لَمنْجُوهم	حمزة، الكسائي، يعقوب، خلف	لَمُنَجُّوهُمْ	نافع، ابن كثير، أبو عمرو، ابن عامر، عاصم، أبو جعفر
٦	العنكبوت	٣٣	مُنْجُوك	ابن كثير، حمزة، الكسائي، عاصم، خلف، يعقوب	مُنَجُّوكَ	نافع، أبو عمرو، ابن عامر، أبو جعفر
٧	العنكبوت	٣٤	منزِلُونَ	نافع، ابن كثير، أبو عمرو، حمزة، أبو جعفر، يعقوب، خلف	مُنَزِّلُونَ	ابن عامر، الكسائي، عاصم
٨	يس	٢٧	المُكْرَمِينَ	نافع، ابن كثير، أبو عمرو، ابن عامر،	المكَرَّمِين	الكسائي

				عاصم، حمزة، أبو جعفر، يعقوب، خلف		
٩	الواقعة	٧٩	المُطْهَرُونَ	نافع، أبو عمرو	المُطَهَّرُونَ	ابن كثير، ابن عامر، عاصم، حمزة، الكسائي، أبو جعفر، يعقوب، خلف

مثلا في قوله تعالى في سورة البقرة (الآيَةُ ١٨٢) "فَمَنْ خَافَ مِنْ مُّوْصٍ جَنَفًا اَوْ اِثْمًا فَاَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ اِثْمَ عَلَيْهِ ۗ اِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ". وجدَ في لفظِ "مُوصٍ" اختلافٌ فِي الْقِرَاءَاتِ عَلَى وَجْهَيْنِ، أحدُهما القراءةُ بالتّخفيف "مُوصٍ"، وهي قراءة الأئمّة عاصم، والكسائيّ، ويعقوبَ، وخلف، وحمْزَةَ. والثّانيةُ القراءةُ بالتّثقيلِ "مُوَصٍّ"، وهي قراءةُ سائرِ الأئمّة العشرة سوى من تقدّمَ ذكرُهُم.

فأمّا المُخَفَّفُ (مُوصٍ) فهو اسمُ الفاعلِ من الفعلِ "أوْصَى- يُوصِي"، فأصلُهُ "مُوصٍ" على وزنِ "مُفْعِلٍ". وقد احتجَّ من قرأَ بالتّخفيفِ بقَولِه تعالى في سورةِ النّساءِ (الآيَةُ ١١) "يُوْصِيْكُمُ اللّٰهُ فِيْٓ اَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْاُنْثَيَيْنِ ۚ ....إلخ"، فدلّتِ الآيةُ على أنّ الوصيّةَ تؤدّى مرّةً واحدةً، دونَ معنَى التّكْرارِ أو الإلحَاحِ.

وأمّا من قرأ بالتّثقيلِ (مُوَصٍّ)، فقد احْتجَّ بقولِه تعالى في سورةِ الشّورى (الآيَةُ ١٣) "شَرَعَ لَكُمْ مِّنَ الدِّيْنِ مَا وَصّٰى بِهٖ نُوْحًا وَّالَّذِيْٓ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهٖٓ اِبْرٰهِيْمَ وَمُوْسٰى وَعِيْسٰٓى اَنْ اَقِيْمُوا الدِّيْنَ وَلَا تَتَفَرَّقُوْا فِيْهِ ۗ ... إلخ. فدلّتْ على معنًى فيهِ التّكرَارُ والإلزَامُ والاعتِنَاءُ بالأَمرِ، فكانتِ الدّلالَةُ في التّثقيلِ أبلَغَ في التّأكيد والمُبالَغة.

فإذًا دلّت القراءةُ الأُولى (مُوصٍ) على معنَى الفعلِ اللازمِ في حدّ الإخبَارِ أو التّكليف الواحد، ودلّت الثّانيةُ (مُوَصٍّ) على المَعنَى المُتَعَدِّي في باب التّكريرِ والإلزامِ، فكأنّ الأمرَ بالوصيّةِ في الثّانيَة أكثرُ تَأكيدًا وإلزامًا. وعلى ذلك، فإنّ الفَرقَ بينَ التّخفيفِ والتّثقيلِ في هذا المَوضعِ ليسَ مجَرّدَ اختلافٍ في اللّفظ، بل هو اختلافٌ في جهةِ التّعديةِ ودرجةِ الإلزامِ، وهو ممّا يثري الدّلالةَ القرآنيّةَ ويظهرُ سعةَ معانيها.

وقد نبّهَ بعضُ أهلِ العلمِ كابنِ جنّي وأبي شامةَ على أنّ نظائرَ هذا الاختلافِ تدلُّ على دقّةِ الأداءِ في التّلقّي والتّنوُّعِ في التّوجيهِ اللّغويِّ، من غير أن يناقضَ بعضُها بعضًا، بل كلُّها حقٌّ ويفسّرُ بعضُهُ بعضًا.

E. CONCLUSION/ الخاتمة

فإنّ التأمّل في اختلاف صيغ الأسماء في القراءات العشر يُظهر أنّ هذه الاختلافات ليست مجرّد تغايرٍ صوتيٍّ أو لهجيٍّ، بل هي اختلافاتٌ ذات أبعادٍ صرفيّةٍ ودلاليّةٍ عميقةٍ، تُسهم في بيان مرامي الكلام الإلهيّ وتجلية إعجازه البلاغيّ. فكلّ قراءةٍ جاءت بوجهٍ من وجوه الصرف، فإنّما تُضفي على المعنى لونًا خاصًّا من الدقّة والإحكام، وتفتح بابًا من أبواب التوسّع الدلاليّ لا يُغني عنه غيره.

أمّا اختلاف الإعراب، فإنّه يجرّ معه اختلافًا فقهيًّا في بعض المواطن، إذ بتغيّر حركةٍ أو عاملٍ يتبدّل وجه المعنى ويتنوّع مدلوله بين الفاعليّة والمفعوليّة، أو بين العموم والخصوص، فيُصبح لذلك أثرٌ في الاستنباط والتفسير. واختلاف الصيغ بين المفرد والجمع والتثنية، فإنّه يُبرز سعة البيان القرآنيّ وشموليّة دلالاته، إذ يُفيد المفردُ التخصيصَ والدقّةَ في المعنى، ويُفيد الجمعُ التعميمَ والاستغراقَ، وأمّا التثنيةُ فدلالتها على التقييد والازدواج تُضيف إلى المعنى طبقةً من التحديد والتخصيص.

وكذلك اختلافُ الصيغ بين التخفيف والتثقيل، نحو قوله تعالى في سورة البقرة: ١٨٢، فقد وردت على وجهين: مُوصٍ و مُوَصٍّ. فالأولى على التخفيف من أوصى – يُوصي، وهي أدلّ على الحدث الواحد، والثانية على التثقيل من وصّى – يُوصّي، وهي أدلّ على التكرار والمبالغة. فجاء كلّ وجهٍ من القراءتين لمعنى مخصوصٍ وسياقٍ مقصودٍ، فتنوّعت الألفاظ واتّسعت المعاني، ولم يقع بينها تناقضٌ ولا تضادّ، بل تكاملٌ وثراءٌ دلاليٌّ بديع.

وأمّا ما كان من ظواهر الإعلال والإبدال، فإنّه مظهرٌ من مظاهر مرونة اللغة العربيّة، وتصرّفها في الأبنية بين التغيير الصوتيّ والتحوّل المعنويّ، حيث يُفضي اختلاف الحركة أو الحرف إلى اختلافٍ في الدلالة، فينشأ من ذلك معنى جديدٌ يوافق المقام والسياق.

ومن مجموع هذه الوجوه يتبيّن أنّ اختلاف القراءات إنّما هو بابٌ من أبواب الإعجاز القرآنيّ، لا مدخلٌ للتعارض أو الاضطراب، إذ يجمع في الحرف الواحد بين البيان والبلاغة، وبين الجزالة والعمق، ويُظهر أنّ كلام الله سبحانه وتعالى لا تنقضي عجائبه، ولا تُدرك أسراره. فكلّ

قراءة من القراءات العشر تحمل إشعاعًا من معاني الوحي، وتزيد النصّ القرآنيّ اتساعًا وغنىً، وتدلّ على عظمة هذا الكتاب الذي لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (فصّلت: ٤٢).

وقد نبّهَ بعضُ أهلِ العلمِ كابنِ جنّي وأبي شامةَ على أنّ نظائرَ هذا الاختلافِ تدلُّ على دقَّة الأداءِ في التّلقّي والتّنوُّعِ في التّوجيهِ اللّغويِّ، من غير أن يناقِضَ بعضُها بعضًا، بل كلُّها حقٌّ ويفسّرُ بعضهُ بَعضًا.

المراجع /REFERENCES

الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد. التيسير في القراءات السبع. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م.

القاسمي، حسام الدين. الفرق الدلالي بين القراءات القرآنية: دراسة لغوية. القاهرة: دار السلام، ٢٠١٦م.

الرازي، فخر الدين. مفاتيح الغيب. بيروت: دار الفكر، ١٩٨١م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. الإتقان في علوم القرآن. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.

ابن الجزري، محمد بن محمد بن الجزري. النشر في القراءات العشر. القاهرة: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٥٢م.

سيبويه. الكتاب. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢م.

مختار عمر، أحمد، وعبد العالي سالم المكرمي. معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القرّاء. جـــ١. الكويت: مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٨٨م.

مختار، أحمد بهاء بن، ومحمد لقمان بن إبراهيم. اختلاف قراءات كتاب ترجمان المستفيد للشيخ عبد الرؤوف الفنسوري. المجلة الدولية للأبحاث القرآنية (International Journal on Quranic Research)، المجلد ٢، ٢٠١٢م.

المكي القيرواني، محمد. مشكل إعراب القرآن. دمشق: دار اليمامة، د.ت.

معلّوف، لويس. المنجد في اللغة والأعلام. بيروت: دار الثقافة الإسلامية، ١٩٩٢م.

إسماعيل، نبيل بن محمد إبراهيم علي. علم القراءات: نشأته وأطواره وأثره في العلوم الشرعية. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٠م.

Abu Shams, M. (2021). Semantic Dimensions in Qur'anic Variants: A Linguistic Analysis of the Ten Readings. Journal of Qur'anic Studies, 23(2), 155–179. https://doi.org/10.3366/jqs.2021.0452

Al-Azami, M. M. (2003). The History of the Qur'anic Text: From Revelation to Compilation. UK Islamic Academy.

Carter, M. (2004). Arab Linguistics: An Introductory Text with Translation and Annotation. Amsterdam: Benjamins.

Cook, M. (2004). The Koran: A Very Short Introduction. Oxford University Press.

Fazlur Rahman. (1982). Islam and Modernity: Transformation of an Intellectual Tradition. University of Chicago Press.

Hamidi, A. Lutfi. 2009. Pemikiran Thoshihiko Izutsu Tentang Semantik Al-Qur'an. Yogyakarta: Universitas Islam Negeri Sunan Kalijaga.

Idris, H. Mardjoko. 2008. Semantik Al-Qur'an: Pertentangan Dan Perbedaan Makna. Yogyakarta: Penerbit TERAS.

Jailani. 2013. Planologi Hijrah Nabi Muhammad Dalam Perspektif Al-Qur'an. Jurnal Al-Mu'ashirah. Volume 10, Februari: 192–208.

Junaidi, Wawan. 2003. Madzab Qirā'āt 'Āshim Riwayat Hafsh Di Nusantara. in Studi Sejarah Ilmu. Jakarta: Universitas Islam Negeri Syarif Hidayatullah.